- نهر البردوني -

نهر زحلة المشهور ويتقدمه كلمة عن زحلة

بقلم المؤرخ الفاضل الخوري ايوب سميا

لهذا النهر شهرة حديثةم لا تتجاوز عصر وجود زحلة المدينة الحديثة على ضفتيه · وقبل ان نتكلم عنه راينا ان نبسط لمحة عن زحلة

يقول المؤرخ الشهير ابن زحلة المرحوم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ان اسمها من زحل الكوكب السيار المعروف الذي كان في القديم معبودا ويذكر وجود آثار قديمة في عاليها الشمالي نسبها الى معبد زحل اما وجود الاثار فصحيح · ولكن نسبتها الى معبد زحل ليس فيها تلك القاعة الواثقة وهب هذا صحيحا فلم توجد في مكان زحلة الحالية آثار تدل على وجود مدينة سابقة مثل سعدنايل وزبدل وقب الياس وشتورة بل وجود زحلة حديث لايتجاوز قدما القرن الرابع عشر امسيحي في عهد دولة المماليك واما تلك الآثار التي اشارايها المرحوم الاستاذ المعلوف فتنبىء عن وجود موضوعة آرامية فينيقية في ذلك المكان لم يتصل الينا اسمها ·

اما زحلة الحالية فقبل ان تصبح مدينة وتاخذ هذا الاسم كانت قد تالفت من اناس مسيحيين قلائل لاجئين الى تلك السفوح المنزوية القريبة من الماء هاربين من الاضطهاد الديني الذي كان يقع عليهم في ذلك العصر واول ما تالف من زحلة حارة الراسية · نسبة الى اهلها الذين لجاوا اليها من راس بعلبك ثم حارة حوش الزراعنة نسبة الى اهلها الذين جاؤها من درعون في عالي لبنان قرب حريصا · ونسمت من هؤلاء واولئك زحلة ثم جاءها ايضا اناس من عبن حلبا وبوارج وبعلبك

وهذا الاسم « زحلة » وضع اولا للقسم العالي منها قبل ان يعمر حيث كان ترابيا وامامه عمق ووطأ فزحلت ارضه بحادث هزة ارضية او مطر طويل او رعد قاصف عقبه صعق · فسموا ذلك المكان الزحلة » ثم عمه العمار ثم عم الاسم على كل البلدة لشهرة قسمها الشمالي « الزحلة اكثر من غيره وعلى غرار هذه التسمية توجد امكنة كثيرة مثل الزحلة التي وراء قب الياس الى جهة النهر وراس الدبن والزحيل في الطريق بين قب الياس وعين درة وزحلتا في قضاء جزين من هذا النوع ولكنها لاتزال بلفظها السرياني « زحلتو» وهو الزحلة ومنه عين زحلتا اي عين الزحله في قضاء المتن · والزحلة اسم ارض سقي في خراج برمانا غربا

نهر البردوني

ليس لهذا النهر ذكر قديم في التاريخ مثل سائر انهار سوريا ولبنان بل يذكر بذكر زحلة او روافد

نهر الليطاني ·:

اسمه — لم يتعرض احد لتفسير اسمه ولا ادري اذا كان العلامة الزحلي المرحوم المعلوف قد اتى على تفسيره في ابحاثه · والظاهر من هذا الاسم انه نسبة الى البردون وهذا في العربية للدابة المختصة بالحمل والمكاراة وتنحصر في جنس البغال والخيل ولكن ما هو وجه اللزوم لنسبة هذا النهر الى هذا الحيوان فليس هناك ما يقنع العقل · اذن ليس هذا الاسم بعربي وما هو الا آرامي من اصحاب البلاد الاصليين · ولنا فيه وجهان الاول ان يكون اصله « بر - دوني » جزآن « بر » معناها ابن و « دوني » او ادونيس كما هو مشهور عن طريق اليونانية التي زادت في اخره بصيغتها حرف السين في حالة الرفع ومعناه الرب او السيد وهو الاله الفينيقي المشهور الذي سمى الفينيقيون باسمه نهر ابرهيم النابع من مغارة افقا بلبنان والصاب في بحر الروم جنوبي جبيل وهذا الاسم « بر - ادوني » قد اندمج بطول الزمن في اللسان العام الى بردوني واما وجه التسمية فيه فهو المشابهة بجودة الماء والمجرى والوادي ولا يبعد ان يكون فينيقيو بعلبك قد اعطوه نوعا من الوهية ادوني وان ذلك الاثر الذي اشار اليه العلامة المعلوف هو فينيقي يتعلق بالنهر ·

والثاني هو ان يكون من كلمة « بردا » الارامية المضمومة الدال ونعني حب البرد الناعم الساقط مع الريح والذي يعقبه ذري الثلج والنسبة اليه بالارامية بردونويو فتكون كلمة البردوني هي النسبة الى ذلك البرد الثلجي الذي ما اكثره في ذلك العلو في سفح جبل صنين · ولا يخرج اسم بردوني عن هذين الوجهين اللذين نرجح منهما الثاني بردوني آخر - ولهذا النهر مثل يرجح النوع الثاني من الاسم وهو انه في بلاد فارس في ولاية خوزستان المتاخمة للعراق بلدة اسمها بردوني موقعها في جبل عال جنوبي بلدة شوشان عند نبع نهر غير كبير ينسب اليها اي يسمى بردوني وهو احد الينابيع التي يتالف منها نهر ماشور يسمى هكذا لانه يجري جنوبا ويصب في خليج فارس عند مدينة ماشار وتلك الولاية مع ولاية لورستان الواقعة شماليها كانتا من صلب بلاد البابليين بدليل اسماء آرامية كثيرة فيها ومنها شوشان ومعناها الزنبقة البيضاء وقد كانت عاصمة نبوخذ نصر الكبير ملك بابل وبردوني هذه ذكرها في معجمه ياقوت الحموي المتوفي سنة ١٢٢٨ مسيحية واسمها اليوم « قلعة » ولكن الاسم الاول لايزل محفوظا

نبع البردوني — لبردونيا هذا نبعان كبير فصغير فالكبير ينبع من سفح جبل صنين من جانب بلدة اسمها قعفرين سكانها مسيحيون يبلغون الف نسمة من روم وكثوليك — وجميع الجغرافيين عندما يذكرونها بذكر نهر البردوني يقولون ان اسمها هذا محرف من « قاع الريم » ولعمري ان قاع الريم اسم لطيف وسهل المجرى في اللفظ فليس من اضطرار الى تحريفه الى قعرين ثم من اين اتت هذه الفاء في التحريف فما ذلك الا تحليل جهل وزعم خاطىء · ان هذا الاسم مدموج من جزئين « قاع — عفرين » فالقاع عربي وهو المنخفض من الارض وقاع الشيء قعره — وعفرين سريانية معناها « الترابي » نسبة الى عفرى وهي التراب ومنها في العربية يقال عفر فلان وجهه حزنا اي مرغه بالتراب · وعفرين هي صفة لارض ترابية في جبل صخري ومنها بلدة عفرين قصبة في جبل سمعان من اعمال حلب ولها نهر مشهور باسمها يخرج من جانبها ويصب في بحيرة انطاكية

والنبع الثاني ايضا من سفح صنين من جانب قرية اسمها « خرزتا » سكانها متاولة يبلغون ٥٠٠

التابع في الصفحة الخامسة